مهابة عظيمة في قلوب كل من في جزيرة القديسة هيلانة . قال المندوب الروسي "ان لهذا الرجل الخلوع المأسور المكتنف بالحرّاس والحفّاظ من السلطة على كل الذين يدنون منهُ ما يُعجب ويُدهش فان كل ما في هذه الجزيرة يدلُّ على تفوّق نبوليون وعظمتهِ . الفرنسويون يرتجفون من رؤيتهِ ويحسبون خدمتهُ منتهى السعادة . والانكليز لا يدنون منهُ الاَّ والرهبة تشملهم حتى حرّاسهُ يتمنون ان ينظر اليهم نظرةً او يكلمهم كلمة وما من احد يستطيع ان يلتفت اليهِ التفات النظير الى نظيرهِ" . وزد على ذلك انهُ كان يدخل اكواخ الاهالي ويجلس معهم ويكلم الخدم والعبيد ويفخمهم بالهدايا ولما رأى الوالي ذلك ضيَّق عليهِ النطاق لئلاَّ تتعلق قلوب السكان بهِ فيعصوا اوامر الحكومة

الزهد في الحياة

في قطيع نعجةٌ قد نتجت حملاً أبيض كالثلج النقي
رأمتهُ وسقتهُ لبناً فتقوّى ناميًا تمًّا سقي
شارفتهُ وعليهِ انعطفت حفظتهُ كسوادِ الحدقِ
عند ما أصبح شهرًا عمرهُ وعن المربضِ لم يفترقِ
جاءهُ الراعي ومعهُ مدية وبها ينوي احتزاز العنقِ
فدعاهُ مستغيثًا خاشعًا عند ما القاهُ فوق الطبقِ (١)
قائلاً مولاي رفقًا انني في حياتي لذَّةً لم أذقِ
ما رعيتُ العشبَ بل مازلتُ من ضرعِ أمي من لبانٍ استقي
ما برحتُ السجن يومًا واحدًا ومع القطعان لم أنطلقِ
أعفُ عني سنةً احيا بها مطمئنًا في سراح مطلقِ
لا يخاف الفوتُ مني وانا كل يومٍ عالق بالوهقِ (٢)
فاتقِ الرحمانَ في حقيَ او فاصنع الرحمة ان لم تتّقِ

* * *

رفق الراعي بهِ وانطفأت جمرةٌ في طرفهِ المغرورقِ

(١) الطبق سطح الارض او ساعون مقعر من الخشب مثل الذي يضعهُ الجزّار تحت العنق ليجتمع فيهِ الدم
(٢) الوهق حبل في طرفهِ انشوطة يطرح على عنق الدابة لتوخذ بهِ

قال فاذهب وارتبع كيف تشا واذكر الحمدَ لقلبي المشفقِ
فمضى يمرح عاماً كاملاً يتشهى في البرّ ريحَ الحبقِ
شاربًا من كلّ وردٍ سائغٍ آكلاً من كلّ نبتٍ مورقِ
غادياً عند تباشير الضحى رائحًا عند دنوّ الغسقِ
لاجئًا في الحرّ للاظلال او عائذًا من مطرٍ في نفقِ
يلحق الراعي ويدري انهُ طعمة السرحان ان لم يلحقِ

***

بعد ان مرّت عليهِ سنةٌ قصد الراعي بقلبٍ قلقِ
قال ماضي العمر قد ادركتهُ جئتُ كي تخبرني عما بقي
هل أواتي العيش كالماضي تُرى جزعٌ في نكدٍ في رهقِ (١)
هكذا في سغبٍ (٢) ولغبٍ (٣) هكذا في نصبٍ او حرقِ
ابدًا في عطشٍ لا تشرب الا ماء الأ مفعمًا بالرنقِ (٤)
ان نغادر فرقًا حاق بنا لم نغادرهُ لغير الفرقِ
تارةً نهبط للقيعان في طلب القوت وطورًا نرتقي
في شتاءٍ بردهُ أرهقنا ما بهِ الأ انصبابُ الغدقِ (٥)
لا نرى في قبّة الجوّ سوى غضبٍ من مُرعدٍ او مُبرقِ
كان اخوانٌ لنا لم ننسهم جرفوا بالعارض المندفقِ
اقبل الصيف فقلنا انفرجت فالتقانا بالهجير المحرقِ
ناب عن ميل شآبيب (٦) الشتا من جلودِ الحيّ سيلُ العرقِ
وعلينا فوق ما نحن بهِ يرصد الذئب شعاب الطرُقِ
فاذا صادف منّا غرّةً جاءنا يثبُ ناب الحنقِ
فكان العمر بحرٌ مزبدٌ وكأني فوقهُ في زورقِ
ابدًا في خطرٍ يرصدني ابدًا في حذرٍ من غرقِ

---

(١) الرهق الاسم من الارهاق وهو حمل الانسان على ما لا يطيقهُ (٢) السغب هو الجوع مع التعب
(٣) اللغب هو التعب الشديد والاعياء المنهك (٤) الرنق هو كدر الماء (٥) الغدق هو الماء الكثير (٦) واحدها شؤبوب وهو الدفعة من المطر

نكباتٌ قوّضت جسمي ولم تُبقِ من روحيَ غير الرمقِ
طال عيشي المرُّ في داجيةٍ وانا ارقبُ وجه الفلقِ
هل لهذا الليل صبحٌ يُرتجى فرَجٌ من خوفه المنبثقِ
هل انا وحدي شقيٌّ يا ترى في ربى الارض ام الكلُّ شقي
هل ارجّي سِنَةً في حياتي زمنًا خالصًا من حذرٍ او قلقِ
ام بواقي العمر مثل المنقضي ومواضيهِ هوادي الملحقِ

***

اتبل الراعي عليهِ قائلاً انما الايام مثل الحلَقِ
فاذا عشتَ قرونًا عدّةً لستَ تلقى غير هذا النسَقِ
راحت الدنيا على طلاّبها وجدوها كالعقوق الابلقِ (١)
قبلك الكلُّ على سطح الثرى طلبوا السعد بسعيٍ مخفقِ
دفعوا ناب البلايا عنهمُ زمنًا دفعَ ضعيفٍ متقِ
صرعتهم نوبٌ ارواحُهم معها مهما تعمّرْ تزهقِ
كل حيٍّ في الثرى مهما يطل عمرهُ يأتِ لهذا المأزقِ (٢)
ان تجاهد زمنًا سوف يجي زمنٌ مهما تجاهد تغرقِ

***

فاجاب الحملُ النادمُ يا ليتني اخترت احتزاز العنقِ
ليت اني صرت نسيًا مغفلاً ليتني متُّ بعامي الاسبقِ
خذ السكين واذبحني ولا تبقني وعن البلاء المحدقِ

دمشق الشام فارس الخوري

(١) الابلق العقوق اي الذكر الحامل وهو عبارة عما يستحيل وجودهُ
(٢) المأزق هو المضيق .